﴿المحاضرة - 07 - السابعة﴾

الأدب الجزائري في عهد الدولة الحمادية

عناصر الدرس

1- تاريخ الدولة الحمادية
2- الحماديون في الجزائر
3- النشاط الثقافي في العهد الحمادي
4- الحياة الأدبية في العهد الحمادي
5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الحمادية، ومختارات من أدبهم
6- الأدب الجزائري خلال العهد الحمادي خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الحمادية:

من بين الدول الاسلامية التي قامت في المغرب الأوسط "الجزائر حاليا" الدولة الحمادية التي تعتبر ثاني دولة إسلامية بعد الدولة الرستمية. وقد امتد حكمها من الفترة الممتدة من 408هـ/1018م إلى غاية سنة 547هـ/1152م. ويعتبر ظهروها؛ إبرازا لذلك العصر السياسي للمغرب الأوسط من عصور المغرب الاسلامي؛ ومرت الدولة الحمادية بتغيرات وتقلبات، وهذا يعود إلى طبيعة الحكم الذي ساد فيها، والعلاقات التي أرستها مع الدول والأنظمة التي عملت في الدولة من أجل تحقيق الاستقرار، وتنظيم أركان الدولة[1].

2- الحماديون في الجزائر:

تعتبر امتدت الدولة الحمادية غربا إلى ما وراء تلمسان، وشرقا إلى تونس، وجنوبا إلى الزاب وورقلة، وتعتبر الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالجزائر الإسلامية، واستقلالها كان تاما، ورئيسها كان يلقب بالملك[2]..

3- النشاط الثقافي في العهد الحمادي:

تداول على حكم الدولة الحمادية تسعة ملوك، أسسوا ملكا عظيما، وتركوا آثارا باهرات في القلعة وبجاية؛ وفتحوا أبواب المساجد، والمدارس، والقصور، لأهل الفكر والأدب؛ فقصدها العلماء من كل حدب وصوب، وكتاب الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية خير شاهد على ذلك. بذل البربر جهدا في تعلم اللغة العربية والتفقه في الدين، ولم يكد القرن الرابع الهجري يبزغ حتى صار البربر يزاحمون العرب في لغة الضاد..

ومما ساعد على تعريب الدولة الحمادية احتكاكها ببلاد المشرق، وبلاد الأندلس، والقبائل العربية بني هلال وبني سليم التي أرسلها الفاطميون للمغرب للانتقام من الدولة الصنهاجية التي ارتدت عن المذهب الشيعي. وكان عامل التنافس الثقافي بين الحواضر المغربية آنذاك عاملا أساسا في ازدهار الثقافة والعلوم عموما.

عندما اختط حماد القلعة استكثر من المساجد والفنادق. ولم يكن ثمة مسجد يخلو من المدرسين، وقد عرف في المغرب الاوسط المسيد وهو ملحق كان يفرد للناحية التعليمية

بالمسجد. وإلى جانب ذلك كانت الزاوية والكتاتيب وهي أشهر أنواع التعليم. وفي المدن الكبرى ولا سيما بجاية كان يوجد نوع من التعليم الجامعي، فقد أنشأ الناصر معهد سيدي التواتي، الذي كان يضم ثلاثة آلاف 3000 طالب، وعرف في العهد الحمادي ما يعرف بالاختصاص، فتعمَّقُوا في العلوم، حتى أصبحت بجاية قبلة للعلماء والطلاب.

وكان هناك نوعان من المكتبات العامة مكتبة جامع المنار، التي كانت عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والأندلس وكذا المنقولة عن تدريس أئمة وفقهاء الجامع؛ أما النوع الثاني المكتبات الخاصة. ولا ننسى بيوت العلماء والفقهاء، فقد كانت بمثابة دور علم هي الأخرى.

4- الحياة الأدبية في العهد الحمادي:

كان عصر الحماديين عصر إنشاء وترقية في- جميع مناحي الحياة المدنية. فضربوا في العلم والأدب بسهم، ونشطوا أهلهما بالجوائز والصلات فارتحل اليهم أمثال ابن حمديس الصقلي من الأدباء، وأبو الفضل بن النحوي التوزري من العلماء، وكان يشبه بأبي حامد الغزالي. فغصت عواصمهم بطلاب المعارف وناشريها وكان العلماء يتناظرون في مجالس بني حماد ويؤلفون لهم الكتب. وذكر ابن الابار في التكملة ان حماد بن ابراهم المخزومي الف كتابا في التاريخ للعزيز. ومما سخره الله للحماديين نزوح جماعات غفيرة من الأندلسيين، ممن امتازوا بثقافتهم وبراعتهم في الصناعة والزراعةوالعلوم، فنهضوا بالفنون والآداب، كما عملوا على ازدهار الثروة في ربوع البلاد[1]

وظهر بالجزائر الحمادية العلماء والشعراء والكتاب والمؤرخون والاطباء والرياضيون وغيرهم، ظهورا لا عهد للجزائر به من قبل. وكانت لعلوم الدين المنزلة الأولى ويليها علوم العربية. وينسب إلى القلعة وبجاية وغيرها من ممالك الحماديين علماء كثيرون. وكانت العربية هي اللسان الرسمي للدولة. وجاء الهلاليون بلغتهم القريبة يومئذ جدا من الفصحى فنشروها بين سائر الطبقات وسهلوا على الخاصة تعلم العربية وعلى العامة تعلم دينها. فاستعرب كثير من البربر. والذي دعا البربر الى هذا الاستعراب والدولة دولتهم والحكومة حكومتهم ما يعتقدونه من شرف العربية وغناها وكونها لغة الدين.

تصدرت علوم اللغة والأدب العربي مجالات النشاط العقلي بعد علوم الدين في دولة بني حماد؛ وكان الأدب نثرا وشعرا مناط عناية واحترام كل الطبقات، وقد اشتغلوا جميعا به: الملوك، والوزراء، ورجال الدولة ، والعلماء، والطبقتان العليا والسفلى. وكانت اللغة العربية هي لغة الفكر والثقافة. أما البربرية فيقيت معروفة متداولة، ولعبت دورا في الحياة الاجتماعية، وكانت الوعاء الحامل للأدب العامي، كما كانت تسيطر على لغة البلاط، الذي كان في الأصل بربريا، ويحكم شعبا بربريا. وبهذه العربية الفصحى قدمت الجزائر مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء واللغويين، الذين أسهموا في تنشيط وإثراء الحياة الأدبية، وكانت إضافة معتبرة للثقافة العربية والإنسانية جمعاء[2].

5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الحمادية، ومختارات من أدبهم:

- **حماد بن بلكين:** صاحب القَلْعة (000 - 419هـ = 000 - 1029م) حماد بن بُلكّين (يوسف) بن زيري ابن مناد الصنهاجي: صاحب (قلعة حماد) وإليه نسبتها. كان شجاعا جوادا، قرأ الفقه في القيروان وعاش مع أبيه وأخيه المنصور بن بلكين وتوفي المنصور (386) وخلفه ابنه باديس، وهو صغير السنّ، وتولى أعماله عمه حماد في القيروان. ومات باديس (406) فكادت تؤول الدولة بإفريقية الى حماد. وبويع المعز بن باديس، فاقتتل حماد وجيش المعز وظفر هذا. ويقول ياقوت: إن حمادا أحدث القلعة في حدود سنة 370 واستمر إلى أن توفي بها أو بإحدى قرى بجاية[1].

قال حماد: - هذا نص حكاه حماد - مؤسس الدولة الحمادية - لجيشه عن امرأة بربرية تداهت عليه واحتالت؛ ولم يفطن لحيلتها إلا بعد فوات الأوان.. قال حماد[2]: "مَا تداهَى أحدٌ قطُّ عليَّ ولاَ خدعنِي إلاَّ امرأةٌ وكعاءُ منَ البربرِ. قِيلَ: - لهُ- وكيفَ كانَ ذلكَ؟. قالَ: نعمْ. إنَّ صاحبًا كانَ لِي بالقيروانِ، نشأَ معِي نشأةً واحدةً لمْ يفرِّقْ بيننَا مكتبٌ ولاَ مشهدٌ، وكنتُ قدْ خلطتهُ بنفسِي، وجعلتهُ نحلَ أُنسِي فلمْ يزلْ علَى ذلكَ حتَّى صرتُ إلَى مَا أنَا فيهِ ففقدتهُ، فجعلتُ أفتقدهُ فلاَ أقدرُ عليهِ، ولاَ أجدُ سببًا للوصولِ إليهِ. فلمَّا أنْ عتبتُ علَى أهلِ باغايةَ، وشننتُ عليهَا الغاراتِ، لمْ أنشبْ صبيحةَ ذلكَ/ اليومِ أنْ سمعتُ مُناديًا: يَا للهِ يَا لَلأميرِ؛ فقلت: ما بالكَ ومنْ أنتَ؟ فقال: أنَا فلانُ بنُ فلانٍ فإذَا بهِ صاحبِي المطلوبُ، قدْ حبسهُ عنِّي نُسكهُ، وغلبَ هواهُ ورعٌ يماسكهُ، فأظهرتُ البِشرَ بمكانِهِ، والجذلَ بشأنهِ، ولوْ شفعَ في جميعِ أهلِ بَاغايةَ لشفَّعْتهُ، فجعلتُ ألطفهُ، وأونسهُ، وهوَ كالولهانِ. فسألتهُ عنْ أمرهِ. فقال: إنَّهُ فقدَ بِنتهُ فيمنْ فُقِدَ مِنَ النِّساءِ. فقلتُ: لهُ واللهِ لوْ خرجتَ إليَّ بالأمسِ لحقنتُ دماءَ أهلِ بلدكَ لِحُرْمتكَ عندي. فقال: القدرُ غالبٌ، والمحرومُ خائبٌ. قال حمادُ: ثمَّ أمرتُ القوَّادَ فَأحضرُوا جميعَ مَا كانَ فِي جُيوشهمْ مِن النِّساءِ، فعرفَ فيهنَّ ابنتهُ. قالَ: فأمرتُ بسترهَا وحملهَا معَ أبيهَا، فرفعَتْ صوتَهَا قائلةً: لاَ واللهِ يَا حمَّادُ، لاَ رجعتُ معَ أبِي، ولا رجعت مع الذي غصبني. قلتُ: فمَا تُريدينَ وَيْلكِ؟ قَالتْ: إنِّي لاَ أصلحُ إلاَّ للملوكِ فلاَ حاجةَ لِي فِي السُّوَقَةِ. فلمَّا سمعَ ذلكَ أبوهَا سكنَ مَا كانَ فِي نفسهِ لها، وظنَّ أنَّهَا قدْ فُتِنتْ وَفَسدتْ عليْهِ. قالَ حمادُ؛ فقلتُ لهَا: ومنْ أينَ تصلحينَ للملوكِ؟ قالتْ: لأنَّ عندِي علماً لاَ أُشاركُ فيهِ وَلاَ يَدَّعِيهِ غَيرِي. قلتُ: ألاَ أرِيْتِنَا شيئاً منْ ذلكَ؟ قالتْ: نعمْ، تأمرُ بقتلِ إنسانٍ وتُحضرُ أمضَى سيفٍ أتكلّمُ عليهِ بكلماتٍ[3] تمنعُ منْ تأثيرِهِ ويعودُ بيدِ حاملهِ أكلَّ مِنْ قائمهِ. قالَ حمَّادُ: الذِي يُجرِّبُ هذَا فيهِ لَمغرورٌ. قالتْ: أوَ يُتَّهَمُ أحدٌ أنَّهُ يُريدُ قتْلَ نفسهِ؟ قالَ: لاَ. قالتْ: فإنِّي أريدُ أنْ يُجرَّبَ ذلكَ فِيَ، فَتكلَّمتْ علَى سيفٍ اختاروه، وَمدَّتْ عُنُقَهَا فَضربَهَا السَّيَّافُ ضربةً أَبَانَ رأسهَا، فاستيْقظْتُ مِنْ غفلتِي، وعَلِمتُ أنَّهَا تَدَاهَتْ عَلَيَّ، وَكرِهتْ العيشَ بعدَ الَّذِي جرَى لهَا وعليهَا، واستبانَ لأبيهَا منْ ذلكَ مثلَ الَّذِي بانَ لِي، فجعلَ يُلقِي نفسَهُ عليهَا، ويَتمرَّغُ في دمهَا أسفًا لِمَا حَلَّ بِهِ مِنْهَا، واغتباطًا بهَا لَمَّا رَأى مِنْ عِظَمِ أَنَفَتِهَا، واختيارِهَا لِلْموْتِ علَى مَا نزلَ بهَا"

- **أبو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير**[1]: ذكر أنه أحد كتّاب الدولة الحمادية، المتصرّفين في الكتابة السلطانية، وأورد له رسالة كتبها عن سلطانها يحيى بن العزيز الحمادي، وقد فرّ من مدينة بجاية أمام عسكر عبد المؤمن يستنجد بعض أمراء العرب بتلك الولاية: كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسرّ، رضىً بالقسم وتسليماً للقدر، وتعويلاً على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النبي محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بحر، وبعد: فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا وضبع، استفز أهل موالاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون، فكنّا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفرّ من صلّ خبيث الى حيّة صماء، حتى بغت مكرهم، وأعجل عن التلاقي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا الى مظنة الأمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنّا نراه للمهم عدّة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر، وتُثنَى عليه الخناصر.
- **أبو القاسم عبد الرحمان الكاتب المعروف بابن العالمي**[2]: من كتاب الدولة الحمادية، له من رسالة: ولما كنت في مضمار سلفك جارياً، ولنا موالياً، وفي قضاء طاعتنا متباهياً، رأينا أن نثبت مبانيك، ونؤكد أواخيك، ونوجب لك ولخلفك، ما أوجبه سلفنا لسلفك، تمييزاً لهم عن الأكفاء، ومجازاة لهم على محض الصفاء والولاء، فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر فأنت به جدير، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور.

ومن أشهر شعراء الدولة الحمادية

- **الفقيه أبو حفص عمر بن فلفول**[3]: قال: هو كاتب السلطان بتلك البلاد يحيى بن العزيز الحمادي وخالصته وصاحب سرّه، وله اليد الطولى في الإنشاء الدال إعجازه فيه على البلاغة المؤدية لسحره في نثره. قال: أنشدني له الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي عند الاجتماع به في جزيرة صقلية:

وقالوا: نأى عنك الحبيب فما الذي
تراه إذا بان الحبيبُ المواصل
فإن أنت أحببتَ التصبّر بعده
ولم تستطع صبراً فما أنت فاعل
فإنّ الهوى مهما تمكّن في الحشا
وحلّ شغاف القلب ليس يُزايلُ
فكم رام أهلُ الحب قبلكَ سلوة
وزادهم عنها هوىً متواصل
فقلت: ألا للصّبر مفزع عاشق
وللصبر أحرى بي وإن غال غائل
سأصبرُ حتى يفتح الله في الهوى
بوصلِ حبيبٍ طال فيها الطوائل

• **علي بن الزيتوني الشاعر**[1]: ذكر أنه شاعر المغرب الأوسط وأديبه، وألمعيّه وأريبه، وهو صاحب توشيح وتوشيع، وتقصيد وتقطيع، وقد سار شعره غناء، وأورد من شعره قوله في ذم المركاز[2]:

لا آكـــل المِرْكـــازَ دهـــري ولـــو تقطّفـــه كفّـــي بـــروض الجنـــان
لأنـــه أشـــبه فيمـــا يُـــرى أصـــابع المصـــلوب بعـــد الثمـــان

وقوله أيضا من قصيدة في مدح بعض القضاة وهي[3]:

نهـــاه عـــن محارمـــه نُهـــاه وقرّبـــه لخالقـــه تُقـــاه
وقـــال الله لـــيس ســـواي ربّ ولا لشَـــريعتي أحـــدٌ ســـواه
هـــو البَـــرّ العطـــوفُ علـــى البرايـــا وبالأيتـــام يـــرحمُ مـــن أتـــاه
وشـــدّ بـــه عُـــرى الإســـلام حتـــى رأينـــا الـــنُجْح وانعقـــدت عُـــراه
أمـــينٌ عدلُـــه غمـــر البرايـــا فمـــا يُخشـــى علـــى أحـــد قضـــاه
مســـيحٌ خطـــوه فـــي كـــل علـــم ومـــن ذا يقتفـــي أبـــداً خطـــاه
أبـــي شـــأنه طلـــب المعـــالي ومـــن يحصـــي ثنـــاه أو نـــداه
لقـــد ظفـــرت يـــد علِقَـــتْ نـــداه ومـــن نـــاواه قـــد تبّـــتْ يـــداه

• **إبراهيم بن الهازي**[4]: ذكر أنه صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصّد، وأحسن إذا قطّع، ومن شعره:

ألا فدعوا عذلي فما أسمع العَذْلا = كفاكم فإنّ العذل قد زادني خبْلا

وهي قصيدة واهية ومقطعها:

فواصـــلْ وقـــاطِع لســـتُ أبغـــي تحـــوّلاً فـــإن شـــئتمُ جـــوْراً وإن شـــئتمُ عـــدلا

علي بن الطبيب[5]: ذكر أنّه أديب وطبيب، وأورد من شعره قوله:

يـــا حملـــة الحُســـنِ هـــبْ لـــي منـــك إحســـانا
إنـــي أحبّـــك إســـراراً وإعلانـــا

ومنها:

إنـــي لعبـــدَك لا أبغـــي بكـــم بـــدلاً ولا أحـــبّ ســـواك الـــدهرَ إنســـانا

• **يوسف بن المبارك**: ذكر أنه من موالي بني حماد، وله في مدائحهم من الشعر ما انسحب عليه ذيل حماد، ومن ذلك قوله[6]:

هنـــاكُمُ النّصـــر ونيـــل النّجـــاح فـــي يـــومكم هـــذا بسُـــمْر الرّمـــاح
فـــأنتم الصِّـــيدُ الكـــرامُ الألـــى شـــادوا العـــلا بالنّائـــل المُســـتَماح
مـــا مـــنكم إلا همـــام حـــوى مناقبـــاً جُلّـــى ومجـــداً صُـــراح
لا ترهبـــون الـــدهر أعـــداءكم وتمنعـــون العِـــرْض مـــن أن يُبـــاح

وتبـــذلون الرّفْـــدَ يـــوم النّـــدى وتسْـــعرون الحـــرب يـــوم الكفـــاح
وترفعـــون الجـــار فـــوق السُـــهى وتُكرِمـــون الضـــيف مهمـــا اســـتماح
لا زلـــتم تجنـــون زهـــر العـــلا فـــي معـــرض العِـــزّ بحـــد الصّـــفاح

- **ابن أبي المليح**[1]: ذكر أنه طبيب ماهر، وكاتب شاعر، واشتهاره بالطب، وله مقطّعات جالبة للحب، سالبة للب، وله من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه، وقضاءه حق العيد وواجبه:

وجالـتْ بـه جـرد المـذاكي كأنهـا عـذارى ولكـن نطقهـنّ تحمحـم
بصـفراء كـالتّبرِ العتيـقِ صـقيلة ودهمـاء يتلوهـا كُميْـت وأدهـم
وأشـقر لـو يجـري وللبـرق جهـده لكـان لـه يـوم الرّهـان التقـدم
وقـام لـواء النّصـر يتبـع رايـة بهـا العـزّ معقـود عليهـا مـتمَّم
فلمـا قضـى حـق الصـلاة معظمـاً ثنـى والهـدى فـي وجهـه يتوسّـم
فـلا زال يقضـي نفْلـهُ وفروضـه وبـرْدُ عـلاه بالمـدائح مُعلَـم

- **علي بن مكوك الطيبي**[2]: أورد له هذه الأبيات:

ألا ليـت شـعري هـل مـن الـدهر عـودة
ليقـرب نـاءٍ لـيس يُـدرَى لـه أيـنُ
تكـدّر صـفو العـيش مـذ جـدّ بينُنـا
وأي التِـذاذ لا يكـدّره البـين
لعـلّ الـذي يبلـي ويشـفي مـن الأسـى
يُعيـد الـذي ولّـى فكـل بـه هـيْنُ
غـدوتُ مـن الأيـام فـي حـال عسـرة
تطـالبني ديْنـاً ولـيس لهـا ديْـن

- **حماد بن علي الملقب بالبين**[3]: له

لمـن أتشـكّى مـا أرابَ مـن الـدهر
وقـد ضـاق بـي عـن حمـلِ أيسـرِه صـدري
وقـلّ الـذي يجـدي التشـكّي وأي مـن
أرجّيـه فـي يـومي لقاصـمة الظهـر
أرانـي قـد أصـبحت فـي قطـر باجـةٍ
غريبـاً وحيـداً فـي هـوان وفـي قهـر
فقيـراً لمـن قـد كنـت أغنـى بنيلـه
وأنعـم فـي أيامـه مـدّةَ العمـر
أرنّـقُ عيشـاً كـدّر الـدهر صـفوه
وصـيّره بعـد انجِبـار الـى الكسـر
وعهـدي بـه روضـاً أريضـاً وجنّـة

مذلّلـــــــــة الأكنـــــــــاف رائقـــــــــة الزهـــــــــر
وإن رمـــــــــتُ أن أغـــــــــدو لأهلـــــــــي عـــــــــاجلاً
بـــــــــلا مهـــــــــلٍ فـــــــــي أوّل الركـــــــــب والســـــــــفْر
ثنـــــــــائيَ عنـــــــــه عامـــــــــل الثّغـــــــــر وانثنـــــــــى
يقـــــــــابلني بـــــــــالعُنف منـــــــــه وبـــــــــالزّجر
وقـــــــــال: اقتنـــــــــع واقنَـــــــــعْ بـــــــــرزق تنالـــــــــه
بلطـــــــــف لعـــــــــلّ اليُســـــــــرَ يـــــــــذهب بالعُســـــــــر
وأطـــــــــرق إطـــــــــراق البُغـــــــــاث لـــــــــدى الصـــــــــقر
كـــــــــأنْ لـــــــــم أكـــــــــن إذ ذاك منـــــــــه علـــــــــى ذكـــــــــر

- **ابن النحوي:** ومن أشهر الشعراء الوافدين على الدولة الحمادية والذين أقاموا فيها يوسف بن محمد بن النحوي، الملقب بأبي حامد الغزالي. وابن النَّحْوي 513 - 433هـ = 1041 - 1119م. يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني، أبو الفضل، المعروف بابن النحويّ: ناظم " المنفرجة " التي مطلعها: " اشتدي أزمة تنفرجي " كان فقيها يميل إلى الاجتهاد، من أهل تلمسان. أصله من توزر. سكن سلجماسة، وتوفي بقلعة بني حماد (من أعمال قسنطينة) قرب بجاية. وله تصانيف. قلت: والمنفرجة شرحها كثيرون، وخمّسها بعضهم، وفي نسبتها إلى صاحب الترجمة خلاف[1].

قال ابن النحوي[2]:

اشـــــــتدي أزمـــــــة تنفرجـــــــي قـــــــد آذن ليلـــــــك بـــــــالبلج
وظـــــــلام اللّيْـــــــل لَـــــــهُ ســـــــرج حَتَّـــــــى يَغْشَـــــــاهُ أَبُـــــــو الســـــــرج
وســـــــحاب الْخَيْـــــــر لَهَـــــــا مطـــــــر فَـــــــإِذا جَـــــــاءَ الإبـــــــان تجـــــــي
وفوائـــــــد مَوْلَانَـــــــا جمـــــــل لســـــــروح الْأَنْفـــــــس بـــــــالمهج
وَلهـــــــا أرج مُحـــــــي أبـــــــدا فاقصـــــــد محيـــــــا ذَاك الأرج
ولربتمـــــــا فـــــــاض الْمحيـــــــا ببحـــــــور المـــــــوج مـــــــن اللجـــــــج
والخلـــــــق جَمِيعًـــــــا فِـــــــي يَـــــــده فـــــــذوو سَـــــــعَة وذوو حـــــــرج
ونـــــــزولهم وطلـــــــوعهم فَـــــــإِلَى دَرك وعَلـــــــى درج
ومعايشـــــــهم وعـــــــواقبهم لَيســـــــت فِـــــــي الْمَشْـــــــي علـــــــى عـــــــوج
حكـــــــم نســـــــجت بيـــــــد حكمـــــــت ثـــــــمَّ انتســـــــجت بالمنتســـــــج
فَـــــــإِذا اقتصـــــــدت ثـــــــمَّ انعرجـــــــت فبمقتصـــــــد وبمنعـــــــرج
شـــــــهِدت بعجائبهـــــــا حجـــــــج قَامَـــــــت بِـــــــالْأمر علـــــــى الْحجَـــــــج
ورضـــــــا بِقَضَـــــــاء الله حجـــــــى فعلـــــــى مركوزتـــــــه فعـــــــج
وَإِذا انفتحـــــــت أَبْـــــــوَاب هـــــــدى فاعجـــــــل لخزائنهـــــــا ولـــــــج
وَإِذا حاولـــــــت نهابتهـــــــا فاحـــــــذر إِذْ ذَاك مـــــــن العـــــــرج
لتَكـــــــون مـــــــن الســـــــباق إِذا مَـــــــا ســـــــرت إِلَـــــــى تِلْـــــــكَ الْفـــــــرج
فهنـــــــاك الْعَـــــــيْش وبهجتـــــــه فلمبـــــــتهج ولمنـــــــتهج

فهـــج الْأعْمَـــال إِذا ركـــدت فَـــإِذا مَـــا هجـــت إِذا تهـــج
ومعاصـــــي الله ســـــماجتها تـــزدان لـــذِي الْخلـــق الســـمج
ولطاعتـــــه وصـــــباحتها أنـــوار صـــباح منـــبلج
مـــن يخْطـــب حـــور الْخلـــد بهَـــا يظفـــر بـــالحور وبـــالغنج
فَكُـــن المرضـــي لَهَـــا بتقـــى ترضـــاه غَـــدا وَتَكـــون نجـــي
واتـــل الْقُـــرْآن بقلـــب ذِي حـــزن وبصـــوت فِيـــهِ شـــجي
وَصَـــلَاة اللّيْـــل مســـافتها فَاذْهَـــبْ فِيهَـــا بـــالفهم وجـــي
وتأملهـــــا ومعانيهـــــا تـــأت الفـــردوس وتتفـــرج
واشـــرب تســـنيم مفجرهـــا لَا ممتزجـــا وبممتـــزج
مـــدح الْعقـــل الآتيـــه هـــدى وَهـــوى متـــول عَنـــهُ هجـــي
وَكتـــاب الله رياضـــته لعقـــول الْخلـــق بمنـــدرج
وَخيَـــار الْخلـــق هـــداتهم وســـواهم مـــن همـــج الهمـــج
فَـــإِذا كنـــت الْمِقْـــدَام فَـــلَا تجـــزع فِـــي الْحَـــرْب مـــن الـــرهج
وَإِذا أَبْصـــرت منـــار هـــدى فـــاظهرفردا فَـــوق الثـــبج
وَإِذا اشـــتاقت نفـــس وجـــدت ألمـــا بالشـــوق المعـــتلج
وثنايـــا الحســـنا ضـــاحكة وَتَمـــام الضـــحك علـــى الفلـــج
وعيـــاب الْأسْـــرَار اجْتمعـــت بأمانتهـــا تَحـــت الشـــرج
والرفـــق يَـــدُوم لصَـــاحبه والخـــرق يصـــير إِلَـــى الْهَـــرج
صـــلوَات الله علـــى الْمهْـــدي الْهَـــادِي النَّـــاس إِلَـــى الـــنهج
وَأبـــي بكـــر فِـــي ســـيرته ولســـان مقَالَتـــه اللهـــج
وَأبـــي حَفْـــص وكرامتـــه فِـــي قصَّـــة سَـــارِيَة الخلـــج
وَأبـــي عَمْـــرو ذِي النـــورين المســـتحيي المســـتحيى الـــبهج
وَأبـــي حســـن فِـــي الْعلـــم إِذا وافـــى بســـحائبه الخلـــج

- أما مناسبة القصيدة، فقد قيل فيها[1]:

قيل إن هَذِه القصيدة لأبي الْفضل يُوسُف بن مُحَمَّد النَّحْوِيّ التوزري، وذَلِكَ أَن بعض المتغلبين عدا على أَمْوَاله وَأَخذهَا فَبَلغهُ ذَلِك، وَكَانَ بِغَيْر مَدِينَة توزر، فأنشأها فَرَأى ذَلِك الرجل فِي نَومه تِلْكَ اللَّيْلَة رجلا فِي يَده حَرْبَة، وَقَالَ لَهُ إِن لم ترد على فلَان أَمْوَاله وَإِلَّا قتلتك بِهَذِهِ الحربة فَاسْتَيْقَظَ مذعورا وَأعَاد عَلَيْهِ أَمْوَاله.

فائدة للسبكي: قلت وَكثير من النَّاس يعْتَقد أَن هَذِه القصيدة مُشْتَمِلَة على الِاسْم الْأَعْظَم وَأَنه مَا دَعَا بهَا أَحد إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ وَكنت أسمع الشَّيْخ الْوَالِد رَحمَه الله إِذا أَصَابَته أزمة ينشدها.

6- الأدب الجزائري خلال العهد الحمادي خصائصه، تطوره، وأثره:

✓ ولقد أبدع الأديب في الشعر كما في النثر، وكتب في كل الأغراض والفنون التي كانت معروفة في عصره: من مدح، وهجاء، وغزل ورثاء، ورسالة، وخطبة، ووصية.

- ✓ واشتهر من الشعراء عمر بن فلفول، وعلي بن الزيتوني، وإبراهيم الهازي، وعلي بن الطيب، ويوسف بن المبارك، وابن مليح الطبيب، وعلي بن مكوك التطيبي، وحماد بن علي الملقب بالبين، ومن الكتاب اشتهر ابن القالمي، وعمارة بن محشرة.
- ✓ ظل الأدب الجزائري في هذا العهد يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة في معالجة الشعر، من حيث الموضوعات، فهو يتناول المدح، والهجاء، والرثاء، والوصف والغزل، والزهد والوعظ..
- ✓ لم يكن كتابها يتأنقون في كتاباتهم إلا في عهودها الأخيرة، حيث جاروا المشارقة في سجعهم وتزويقهم، ولكن دونما إسراف[1]
- ✓ اتخذ بنو حماد العربية لسان الدولة الرسمي ذلك لأنهم استفادوا من أنظمة الحكم العربي الإسلامي الذي ساد شمال افريقية في ذلك الوقت، حيث نجد أن حماد مؤسس الدولة قد نشأ بالقيروان نشأة عربية إسلامية ودرس الفقه وعلوم العربية ولما استقل عن باديس ابن أخيه 405ه/1014م أنشأ ديوان للكتاب وقد ازدهرت العلوم اللسانية بكامل حواضر بلاد المغرب الإسلامي لا سيما في قلعة بني حماد.
- ✓ مال الشعر إلى وصف مظاهر الطبيعة والعمران، وتعلق بالمكان، وهو ما ينبئ عن وحياة الترف التي كان يعيشها السكان.
- ✓ اتسم الشعر في العصر الحمادي وخاصة في القلعة بالوزن والقافية واستخدام البحور الشعرية التقليدية واتسم بالاحتشام والوقار والحياء.
- ✓ تقلصت الخطابة والمراسلة، ومالت إلى القصر، مقابل تكاثر الشعر والشعراء.
- ✓ ظهرت الترجمة الغيرية بوضوح، وبعض ما يمكن أن نسميه بدايات الترجمة الذاتية.